

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقریرات درس خارج اصول حضرت آیت الله سید محمد رضا مدرّسی طباطبائی یزدی دامت برکاته
دوره‌ی دوم - سال سیزدهم - جلسه ۲۸ - یکشنبه ۹۵/۹/۱۴

دو بیان در قبول فی الجملة انقلاب نسبت

مرحوم آخوند قائل شدند که انقلاب نسبت کلاً حرف غلطی است و عمده دلیشان این بود که ملاک نسبت سنجی، ظهورات است نه مرادات جدیه. البته لعراض ممکن است نتوانیم اعمال ظهورات استعمالی در نسبت سنجی انجام دهیم، ولی این ضرر به قاعده نمی‌زند و بعداً درباره‌ی این امور عرضی صحبت خواهیم کرد إن شاء الله.

در مقابل آخوند رحمته، مرحوم نائینی و برخی دیگر فرموده‌اند که انقلاب نسبت با بیانی که آخوند رحمته فرمودند، مشکلی ندارد و لا اقل می‌توان فی الجملة انقلاب نسبت را قائل شد. هر چند ممکن است کلام ایشان صددرصد با کلام مرحوم نراقی سازگاری نداشته باشد ولی فی الجملة قائل هستند و مهم این است که استدلال آقای آخوند رحمته را مورد مناقشه قرار می‌دهند. به تعبیر شهید صدر رحمته در اینجا دو بیان وجود دارد، گرچه این دو بیان چه بسا به یکدیگر بازگردد. ابتدا این دو بیان را بررسی می‌کنیم و در ادامه اصل کلام آخوند رحمته را رسیدگی می‌کنیم و سپس به طور تفصیلی، موارد مختلف تعارض اکثر من دلیلین را بررسی خواهیم کرد.

بیان اول در ردّ کلام مرحوم آخوند

این بیان که در کلمات مرحوم نائینی موجود است^۱، متشکل از دو مقدمه است.

۱. فوائد الاصول، ج ۴، ص ۷۴۶.

هذا كلّ في انقلاب النسبة بين الدليلين. و منه يظهر: انقلاب النسبة بين أكثر من دليلين، كقوله: «أكرم العلماء» و «لا تكرم الفساق» و «يستحب إكرام الشعراء» فإن النسبة بين الأدلة الثلاثة هي العموم من وجه. فقد تنقلب إلى التباين، كما إذا ورد دليل و أخرج مورد الاجتماع - و هو العالم الفاسق الشاعر - عن مفاد الأدلة الثلاثة، فتتقلب النسبة بين الأدلة إلى التباين بلا معارضة. و قد تنقلب النسبة إلى العموم المطلق، كما إذا أخرج الدليل الرابع مورد الافتراق عن أحد الأدلة الثلاثة، فتصير النسبة بينه و بين الآخرين العموم المطلق. و قد تنقلب النسبة إلى التباين مع المعارضة بينها، كما إذا أخرج الدليل الرابع مورد الافتراق عن جميع الأدلة الثلاثة، فيقع التعارض بينها، لأن مجمع العناوين يكون مورد النفي و الإثبات، فتأمل فيما تمرّ عليك من الأمثلة و كيفية انقلاب النسبة بينها.

مقدمه‌ی اول: تعارض بین دو یا چند دلیل در مرحله‌ی مراد جدی است و در مرحله‌ی مراد استعمالی اصلاً تعارض معنا ندارد. وجهش نیز روشن است؛ زیرا چیزی که حجیت ندارد چگونه می‌تواند با دلیل دیگری درگیر شود؟! اگر هر دو دلیل حجیت نباشد ارزشی ندارند، اگر یک دلیل حجیت باشد و دیگری حجیت نباشد و فقط ظهور استعمالی باشد، چرا این‌ها با همدیگر درگیری داشته باشند؟! پس تعارض همیشه مربوط به مرحله‌ی حجیت و مراد جدی است.

مقدمه‌ی دوم: اگر حجیتی اخص از حجیت دیگر باشد، باید حجیت عام را حمل بر حجیت خاص کرد و به مقدار حجیت خاص، از حجیت عام رفع ید کرد.

در مسأله‌ی انقلاب نسبت هم این چنین است. در مثل «اکرم العلماء» و «لاتکرم فساق العلماء» و «یستحب اکرام العدول» فرض این است که «اکرم العلماء» با عمومش حجیت نیست؛ زیرا تخصیص بر آن وارد شده و منحصر به علمای عدول شده است و علمای فاسق از آن خارج شده‌اند. وقتی علمای فاسق خارج شدند می‌فهمیم فقط نسبت به علمای عدول حجیت است و «اکرم العلماء» حجیتی نسبت به غیر عدول از علماء ندارد، به ناچار می‌گوییم که چون اخص است، بر «یستحب اکرام العدول» مقدم می‌شود و «یستحب اکرام العدول» منحصر به غیر علمای عدول می‌شود، اما علمای عدول واجب الاکرام هستند و لذا تعارضی بین «یستحب اکرام العدول» و «یجب اکرام العلماء العدول» نیست؛ زیرا «یستحب اکرام العدول» مخصوص غیر علمای عدول است و «یجب اکرام العلماء العدول» هم مخصوص علمای عدول است.

و قد أشرنا إلى الوجه في انقلاب النسبة في مثل هذه الموارد، و حاصله: أن ملاحظة النسبة بين الأدلة إنما هي لأجل تشخيص كونها متعارضة أو غير متعارضة، و قد تقدم: أن تعارض الأدلة إنما هو لأجل حكايتها و كشفها عما لا يمكن جعله و تشريعه لتضاد مؤدياتها، فالتعارض بين الأدلة إنما يكون بمقدار كشفها و حكايتها عن المراد النفس الأمري. و من الواضح: أن تخصيص العام يقتضى تضييق دائرة كشفه و حكايته فإن التخصيص يكشف لا محالة عن عدم كون عنوان العام تمام المراد، بل المراد هو ما وراء الخاص، لأن دليل الخاص لو لم يكشف عن ذلك يلزم لغوية التعبد به و سقوطه عن الحجية، فلأزم حجية دليل المخصص هو سقوط دليل العام عن الحجية في تمام المدلول و قصر دائرة حجتيه بما عدا المخصص. و حينئذ لا معنى لجعل العام بعمومه طرف النسبة، لأن النسبة إنما يلاحظ بين الحجيتين، فالذي يكون طرف النسبة هو الباقي تحت العام الذي يكون العام حجة فيه، فلو خصص أحد العامين من وجه بمخصص متصل أو منفصل يسقط عن الحجية في تمام المدلول و يكون حجة فيما عدا عنوان الخاص، فتلاحظ النسبة بينه بمقدار حجتيه و بين العام الآخر، و لا محالة تنقلب النسبة من العموم من وجه إلى العموم المطلق.

و بالجملة: انقلاب النسبة بين الأدلة إنما يكون من ثمرات تقديم الخاص على العام و حكومة أصالة الظهور فيه على أصالة الظهور في العام. و بذلك يظهر ضعف ما قيل: من أن النسبة بين الأدلة إنما تكون بما لها من الظهورات و المخصص المنفصل لا يزاحم الظهور و إنما يزاحم الحجية، فالتخصيص بالمنفصل لا يوجب انقلاب النسبة.

هذا، و الإنصاف: أن هذا الكلام بمكان من الغرابة، فإنه لا معنى لملاحظة النسبة بين ظهور كلامين لا يجوز العمل على أحدهما، فالقول بعدم انقلاب النسبة عند التخصيص بالمنفصل يساوق القول بعدم حجية المخصص المنفصل، فتأمل جيداً.

لامحاله اگر کسی انقلاب نسبت را درست تصور کند باید تصدیق کند؛ زیرا ملاک در تعارض، مراد جدی است؛ یعنی آن مقداری که دلیل حجت است، و إلا چیزی که حجت نیست نمی‌تواند با دیگری درگیری داشته باشد. ملاک تخصیص هم این است که اگر دلیلی از دلیل دیگر اخص بود مقدم بر آن بشود و به مقداری که حجت است از شمول دلیل دیگر می‌کاهد، در این دو مقدمه نمی‌شود مناقشه کرد، نتیجه‌اش هم انقلاب نسبت است؛ زیرا در همین مثال گرچه «اکرم العلماء» با «یستحب اکرام العدول» در عالم عادل، تعارض دارند ولی فرض این است که در عالم عادل، «یستحب اکرام العدول» حجت نیست و اصلاً «یستحب» شامل او نمی‌شود؛ زیرا علمای عدول واجب الاکرام هستند و این را از تخصیصی که به «اکرم العلماء» توسط «لا تکرّم الفساق من العلماء» خورد می‌فهمیم، در نتیجه «اکرم العلماء العدول» چون اخص است مقدم بر «یستحب اکرام العدول» می‌شود و بالجمله نه تعارضی است و نه ابهامی و ما باید «اکرم العلماء العدول» را مقدم بر «یستحب اکرام العدول» بداریم و نتیجه‌اش اختصاص استحباب اکرام عدول، به عدول غیر عالم است.

کلام شهید صدر علیه السلام در ردّ بیان مذکور در انقلاب نسبت

مرحوم آقا ضیاء و مرحوم صدر علیه السلام علیه این بیان صحبت کرده‌اند، که اگر کلمات شهید صدر علیه السلام را ذکر کنیم مغنی از کلمات محقق عراقی علیه السلام است. شهید صدر علیه السلام در مقدمه‌ی دوم مناقشه دارد^۱ و می‌فرماید:

۱. بحوث فی علم الأصول (ط - مؤسسه دائرة المعارف فقه) ج ۷، ص ۲۸۸:

الجهة الأولى - فی تحقیق حال أصل النظرية و أن النسبة بين الدليلين المتعارضين هل تنقلب حقاً بعد ورود مخصص لأحدهما أم لا؟ المشهور بينهم عدم الانقلاب. إلا أن مدرسة المحقق النائینی - قده - قد جعلت هذه النظرية نتيجة طبيعية لما تقدم فی نظرية التخصيص من المصادر المفترضة و جعلتها من تطبيقاتها الواضحة التي يكفی. - بحسب زعمها - مجرد تصورها للتصديق بصحتها. و المتحصل من مجموع کلمات هذه المدرسة فی البرهنة علی هذه النظرية يمكن إرجاعه إلى أحد بیانين: البيان الأول: و يتركب من مقدمتين. أولاهما - أن المعارض لا يكون معارضاً إلا بمقدار ما يكون حجة فيه إذ لا معنى لمعارضه الحجة مع اللاحجة. ثانيتهما - أن كبرى القرينية و الجمع العرفی بین العام و الخاص التي تقدم الحديث عنها فی بحث التعارض غير المستقر بصورة مفصلة تقتضى قرينية كل حجة أخص علی الحجة الأعم.

و بناء علی التسليم بهاتين المقدمتين، إذا ورد علی أحد الدليلين المتعارضين ما يخصص مدلوله بنحو يكون ما عدا المقدار المخصص أخص من معارضه، فسوف يكون المقدار الحجة من العام المخصص أخص من المعارض الآخر، فيتقدم عليه بقانون التخصيص. و نحن لا نشك فی صحة المقدمة الأولى من هاتين المقدمتين و إنما نختلف مع هذه المدرسة فی المقدمة الثانية التي رتبها و ادعت بدايتها بعد الفراغ عن نظرية التخصيص. و الواقع أن مجرد الفراغ عن نظرية التخصيص و الجمع العرفی بین العام و الخاص بحمل العام علی الخاص لا تثبت ما حاولته هذه المدرسة من تقديم كل حجة أخص علی حجة أعم.

من قبول دارم که تعارض مربوط به مدلول جدی و به مقداری است که دلیل حجت است، اما مقدمه‌ی دوم که می‌گفت: «چون مقداری که حجت است اخص از دلیل دیگر است، مقدم بر آن می‌شود» را قبول ندارم. اینکه خاص مقدم بر عام می‌شود نه به خاطر این است که اخص است. صرف اینکه خاص دایره‌اش کوچک‌تر است و عام دایره‌اش بزرگ‌تر است باعث نمی‌شود که خاص مقدم بر عام شود، بلکه نکته‌اش این است که چون دلیل خاص به حسب ظهوری که دارد، ترکیز بیشتری بر افراد خاص دارد، در نتیجه دلالتش بر موردش اقوی از دلالت عام بر موردش است. وقتی که مولا فرمود: «اکرم کل عالم» و بعد فرمود «لا تکرّم الفساق من العلماء»، اینکه «لا تکرّم الفساق من العلماء» را بر «اکرم کل عالم» مقدم می‌داریم نه به خاطر این

ذکر آن کل دلیل لفظی يتضمن اعتبارین، اعتبار أنه كلام له ظهور كاشف عن مرام المتكلم، و اعتبار أنه حجة في إثبات ذلك المرام. و المعارضة بين الدليلين و إن كان بلحاظ الاعتبار الثاني دائماً، لأن التعارض إنما هو التنافي في الحجية، إلا أن المصادر العقلية الإضافية زائداً على الحجية التي كانت هي مدرک نظرية التخصيص كما يُعقل أن تقتضى تقديم الخاص بما هو حجة على العام، كذلك يعقل أن تقدم الخاص بما هو كلام ظاهر على العام، و تشخيص أن ملاك التقديم أي الأخصيين لم يتقدم البحث عنه و لم يُقم برهان عليه.

فلا يصح تفريع هذه المسألة على تلك. بل لا بد من تحقيق ذلك في هذا المقام، على ما سوف يأتي إن شاء الله تعالى.

(ص ۲۹۳): ... و هناك وجه آخر لتصحيح انقلاب النسبة على أساس القاعدة الميرزائية بدلاً عن إضافة مصادر جديدة و هو أن يقال: إن المراد بالأخصية التي هي ميزان القرينية الهادمة للظهور على فرض الاتصال و للحجية على فرض الانفصال أخصية ما هو المقدر الحجة لا أخصية ذات المدلول. و هذا أيضاً افتراض لمعنى واسع للقاعدة الميرزائية لم يكن يتوقف عليه تفسير قرينية المخصص المنفصل في الموارد الاعتيادية، إذ في تلك الموارد كما يكون المخصص المنفصل أخص بما هو حجة كذلك هو أخص بلحاظ ذات مدلوله، فالتسليم بأن الأخصية ملاك للقرينية بموجب تلك القاعدة لا يكفي تخريجاً لعرفية انقلاب النسبة و كونه جمعاً عرفياً إلا مع إثبات كون الأخصية ملحوظة بالنسبة إلى مقدار ما هو حجة من مفاد الدليل لا إلى ذاته.

و الصحيح: أن الأخصية التي هي ميزان القرينية بحسب المرتكز العقلائي إنما هي الأخصية بلحاظ ذات المدلول لا بلحاظ المقدار المعبر منه، لأن النكتة النوعية الملحوظة عقلاً في هذه القرينية بعد وضوح أن البناءات العقلية في أمثال المقام ليست تعبدية و إنما هي بنكات الطريقية و الكاشفية، هي أن الأخصية توجب مرتبة من تركيز نظر الدليل على الحكم الخاص أقوى من مرتبة تركيز نظر الدليل العام على ذلك الحكم الخاص المشمول له بالعموم، و هو معنى الأظهرية النوعية. و من الواضح أن هذه الدرجة من التركيز التي تشكل نكتة للأظهرية النوعية و بالتالي لقرينية الخاص على العام إنما هي من شئون الأخصية بلحاظ ذات المدلول لا الأخصية بلحاظ ما هو المقدر الحجة منه، لأن مجرد سقوط جزء من المدلول عن الحجية لسبب خارجي لا يغير شيئاً من درجة ظهور اللفظ بالنسبة إلى باقي الأفراد، و لا يعطى للدليل ظهوراً أشد بالنسبة إلى تلك الأفراد الباقية لكي يصلح للقرينية على عام ما. نعم غاية الأمر أنه يعلم من الخارج بأن هذا الدليل الذي سقط جزء من مدلوله عن الحجية لسبب خارجي لو كان له محصل و مفاد جدی فهو في الأفراد الباقية، و أما درجة دلالة لفظ الدليل على تلك الأفراد و قوة ظهوره في إرادتها فلا تختلف بعد التخصيص عنها قبله. فهو نظير القدر المتيقن من الخارج، فإن القدر المتيقن من الخارج لا يجعل الدليل صريحاً بنحو يصلح للقرينية على تخصيص دليل آخر، و لهذا لا يكون قوله (ثم العذرة سحت) مخصصاً لقوله (لا بأس بضمن العذرة) بغير ما هو القدر المتيقن منه لأن هذا التيقن لا يجعل دلالة الدليل بما هو دليل على حكم عذرة ما لا يؤكل لحمه نصاً أو أقوى من دلالتة على حكم عذرة ما يؤكل لحمه.

و هكذا يتضح: عدم كفاية شيء من الوجوه التي تقدمت في نظرية التخصيص لإثبات انقلاب النسبة. و أنه لا بد من افتراض مصادر إضافية إذا أريد إثباته.

است که دایره‌ی خاص، اضیق از دایره‌ی عام است بلکه به خاطر این است که ترکیز و توجهی که روی افراد خاص در دلیل خاص می‌شود، اقوی از عنایتی است که عام روی افرادش دارد. «اکرم کل عالم» شامل عالم فاسق هم می‌شود، ولی شمولش نسبت به عالم فاسق، اضعف از شمول «لا تکرم الفساق من العلماء» است. بدین جهت است که ما خاص را بر عام مقدم می‌داریم و گرنه اگر این ترکیز بیشتر نبود دلیلی نبود که خاص مقدم بر عام شود.

سپس ایشان می‌فرماید وقتی عامی به واسطه‌ی مخصص منفصل تخصیص خورد، مثلاً «اکرم العلماء» با مخصص منفصل «لا تکرم الفساق من العلماء» تخصیص خورد و به اندازه‌ی علمای غیر فاسق حجت شد، موجب نمی‌شود که عام بر افراد باقی‌مانده ترکیزی نظیر ترکیز خاص بر افراد خودش داشته باشد؛ زیرا عام در همان معنای عمومش استعمال می‌شود و از حیث ظهور استعمالی فرقی نکرده است. نهایت اینکه در مقام حجیت، تعدادی از افراد خارج شدند و حجیت مخصوص افراد باقی‌مانده شده است، ولی این بدان معنا نیست که ترکیز عام بر افراد باقی‌مانده قوی‌تر شده است تا مقدم بر عام دیگر شود.

در ادامه شهید صدر رحمته‌الله علیه یک شاهد بر اینکه تخصیص به منفصل، موجب قوت ظهور عام در باقی‌مانده نمی‌شود، بیان می‌کند و می‌گوید اگر شما از خارج قدر متیقنی برای عام داشته باشید؛ مثلاً وقتی که مولا فرمود «اکرم العلماء» قدر متیقنش علمای عدول باشد، آیا صرف این کافی است که بگوییم حاصل یعنی «اکرم العلماء العدول» می‌تواند مخصص دلیل دیگر بشود؟ خیر کافی نیست و نمی‌شود.

مثال معروفی وجود دارد که روایت فرموده: «تَمَنَّ الْعَذْرَةَ مِنَ السُّحْتِ» و روایت دیگری داریم که فرموده است: «لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْعَذْرَةِ»^۱. ایشان می‌فرماید اگر از خارج بدانیم که بیع عذره‌ی انسان یقیناً داخل در روایت اول بوده و قدر متیقنش است، آیا این باعث می‌شود که «لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْعَذْرَةِ» را قید بزینم و تقییدش کنیم؟ خیر نمی‌شود، بلکه گفته‌اند این دو روایت با یکدیگر تعارض دارد.

۱. وسائل الشیعة، کتاب التجارة، ابواب ما یکتسب به، باب ۴۰: بَابُ حُكْمِ بَيْعِ عَذْرَةِ الْإِنْسَانِ وَ غَيْرِهِ وَ حُكْمِ الْأُبْوَالِ، ج ۱۷، ص ۱۷۵:
ح ۱: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَسْكِينٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَضَّاحٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: تَمَنَّ الْعَذْرَةَ مِنَ السُّحْتِ.
ح ۲: وَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ صَفْوَانَ عَنْ أَبِي مِسْمَعٍ (مِسْمَعٍ عَنْ أَبِي مِسْمَعٍ) عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَ أَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ إِنِّي رَجُلٌ أَبِيعُ الْعَذْرَةَ فَمَا تَقُولُ قَالَ حَرَامٌ بَيْعُهَا وَ تَمْنُّهَا وَ قَالَ لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْعَذْرَةِ.
ح ۳: وَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ ثَعْلَبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُضَارِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْعَذْرَةِ.

پس اینکه بعضی از افراد، قدر متیقن هستند باعث نمی‌شود که دلیل ما ظهور اقوایی در آن متیقن داشته باشد تا بتواند مقدم بر ظهور دیگری بشود. ما نحن فیه هم این چنین است؛ ولو دلیل منفصل می‌فرماید «لا تکرّم فساق العلماء» و مقدم است بر «اکرم العلماء» و نتیجه می‌شود: «اکرم العلماء غیر الفساق»؛ یعنی «اکرم العلماء العدول»، اما این موجب نمی‌شود ترکیز دلالتی عام منحصص بر علمای عدول، اقوی از ترکیز عام «یستحب اکرام العدول» بر علمای عدول باشد.

نگاهی به سیر بحث تاکنون

مرحوم آخوند فرمود که ملاک در نسبت‌سنجی، ظهورات است نه مرادهای جدی و مقام حجیت ادله. در مقابل، آقای نائینی رحمته‌الله و من تبع ایشان فرمودند که معنا ندارد ملاک، ظهورات باشد؛ ظهورات نه در مقام تعارض ملاک هستند و نه در مقام نسبت‌سنجی. چیزی که مراد جدی نیست چگونه با چیز دیگر سنجیده شود؟! آقای صدر رحمته‌الله فرمود که در مقام تعارض، ظهورات ملاک نیست اما در مقام نسبت‌سنجی ظهورات ملاک است. نکته‌اش هم این است که ما می‌خواهیم تعیین ظاهر و اظهر کنیم. ظاهر و اظهر از طریق قوت تمرکز متکلم بر موضوع و امری منقدح در ذهن ما می‌شود و لامحاله خاص را که مقدم بر عام می‌بینیم به خاطر تمرکز اقوایی است که متکلم در دلیل خاص بر موضوع کرده نسبت به تمرکز که دلیل مشتمل بر عام نسبت به همان مورد دارد، و این تمرکز با منحصص منفصل و با کشف مراد واقعی تغییر نمی‌کند. منحصص منفصلی که وارد بر یک دلیل شود و تعدادی از افراد را خارج کند، موجب نمی‌شود که تمرکز دلیل بر باقی‌مانده‌ی افراد، اقوی باشد تا شما بگویید چون تمرکزش اقوی است مقدم بر دلیل دیگر می‌شود، لامحاله در مورد ماده‌ی اجتماع همچنان تعارض باقی است و حرف جناب آخوند رحمته‌الله درست است.

مقرر: سید حامد طاهری

ویرایش و استخراج منابع: محمد عبدالهی